كلها فى أعس الذين وقفوا يتتبعون رحلتها ، ويترقبون وصولها إلى الواحة العذراء التى تسعى حاهدة إليه ، واختلطت معالم الطريق بين الأصالة والزيف، وتاهت خطوات الرواد الأصلاء الذين يحاولون كشف الطريق وتذليل مسالكه وتحديد معالمه .

كان دخول هؤلاء الأدعياد فى الحمى الفنى ، وانطلاقهم فيه بغير ضوابط تحكم حركتهم ، وتوجه خطاهم ، وتحملهم على شئ من الأناة والصبر على مشقات الطريق سبباً من أسباب الأزمة التى يعانى منها شعرنا المعاصر ، لأن العمل الفنى فقد على أيديهم أهم عنصرين يقوم عليهما ، وهما الموهبة والصنعة ، فبدون هذين العنصرين يفقد البناء الفنى أهم سر من أسرار خلوده ، ويصبح معرضا للانهيار والتداعى مع أى عاصفة ريح تهب عليه . ويخطئ من يظن أن العمل الفنى يمكن أن يقوم على غير هاتين الدعامتين أو على واحدة منها دون الأخرى ، فلا الموهبة وحدها كافية لإقامة بنائه ، ولا الصنعة وحدها بالتى تغنى عن الموهبة شيئا ، إنما لابد من تعاون تام وتوازن دقيق بينهما .

ولست أنكر أهمية الدور الذى تقوم به الموهبة فى العمل الفنى ، وأنه لا بد من توافرها فى أعمال كل شاعر وهى مسألة تنبه إليها القدماء ولكنهم لم يصلوا إلى الكشف عن أسرارها ، فمضوا فى نطاق من الغيبية يحاولون تفسيرها عن طريق الربط بين الشعر وبين قوى خفية مجهولة تمثلها الإغريق فى صوره آلهة وربات ، وتمثلها العرب فى صورة جن وشياطين. ولكن الموهبة على الرغم من هذا الدور الخطير الذى تقوم به ، وعلى الرغم من أنها الأساس الذى يقوم عليه أى عمل فنى - لابد له من قدر من الصنعة يتعاون معها حتى يستقيم الشاعر طريقه ، ويكتمل له بناؤه ، وتتم له السيطرة على أدوات فنه ، وتتحقق له تلك الصورة المصقولة المحكمة من صور التعبير التى لابد منها فى أى عمل فنى .. فالشعر ليس عملاً مرتجلاً «يتناوله الشاعر من كمه » كما كان القدماء يقولون عن أبى العتاهية » ولكنه عمل يحتاج إلى كثير من الجهد